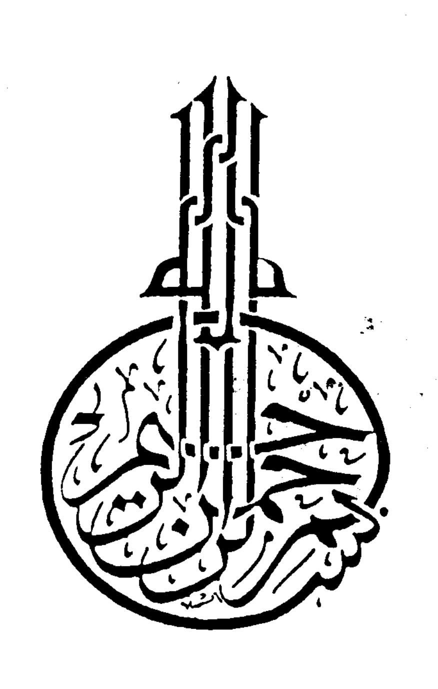
بيان الشرك ووسائله عنـد علماء المالكية

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

دار الوطن
الرياض ـ شارع المعذر ـ ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس: ٤٧٦٢٠٦٨


بسم الله الرحمن الرحيم

بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبـعـة الأولـــى

١٤١٣هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ياأيها الذين آمنوا اتَّقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾. [سورة النساء، الآية: ١]

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾[سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد

فمنذ أن أشرقت أنوار الحق ببعثة النبي ﷺ، وأذن الله تعالى باكتمال الدين الحق، ساء ذلك أعداء الله على اختلاف نحلهم، فاليهود الذين كانوا يرقبون بعثته، ﷺ، كفروا به وأنكروا نبوته وناوؤه، والفرس والروم رأوا في دعوته تهديدًا لسلطانهم الظالم، فناصبوه العداء، ومن بعد ذلك جحافل التتر الجرارة التي اكتسحت رقعة واسعة من بلاد الإسلام، ثم الحملات المتكررة للصليبيين الحاقدين على بلاد الإسلام، والتي مازالت مستمرة حتى يومنا هذا بصور متنوعة، كل هؤلاء وغيرهم حاربوا دين الله عز وجل

ومازالوا، وقد لجأوا إلى أساليب خبيثة في ذلك الصراع منها تظاهر بعضهم بالدخول في الإسلام حتى يكيد له من داخله، وهؤلاء شر الأصناف وضررهم أعظم الأضرار، **ومن هؤلاء** الذين زينوا لجهال هذه الأمة الشرك من جديد في ثوب التعظيم للمقبورين من الصالحين، **كما هو واقع ومشهور** عند كثير من المتسبين للتصوف، وعباد القبور من الجهال الموجودين في معظم أقطار الإسلام، فهؤلاء قد بدلوا دين الله تعالى، وأحيوا ميتاً من الشرك، وبعثوه من جديد ينخر في جسد الأمة مبعدًا لها عن دين الله عز وجل، وقد حسنوا ذلك للعوام بوسائل متعددة كبناء القباب على القبور وتزويقها، وإيقاد السرج وغير ذلك، وجعلوا لها سدنة هم في حقيقة أمرهم كهنة للأوثان، يغرون الناس بدعائها وطلب الحوائج منها، واخترعوا الحكايات العجيبة التي تبين قدرتهم المزعومة، وإمكاناتهم الخارقة، فأغروا الناس بذلك، وألفوا لهم

لكتب ودبجوا لهم القصائد، ووضعوا لهم أحاديث مختلفة، كل ذلك لإغرائهم وتزيين الكفر لهم قبحهم الله تعالى.

ثم إن هذا الداء قد استشرى وعم معظم أقصار الإسلام إلاَّ ماندر، ولم ينج ذلك القليل إلا بفضل الله تعالى، ثم بجهود الصالحين من العلماء العاملين وغيرهم ممن حفظ الله بهم الدين، وأتم بهم المنة، غير أن عامة البلدان قد فتك بها هذا الداء الوبيل فتكًا ذريعًا حتى أفضىٰ الأمر بالكثيرين منهم إلى الوقوع في الشرك الصريح الناقل عن الملة، فطلبوا الحوائج من غير الله، ولجأوا إليه في جلب النفع، ودفع الضر، وتجاوز الأمر ذلك حتى بلغ ببعضهم إلى درجة تعظيم شجرة أو حجر، وعادوا كما كان أهل الجاهلية الأولىٰ، وشدت الرحال إلى الأضرحة، واكتظت خزائنها بالأموال، وكثر عندها الاختلاط، وضجوا بالصريخ

يستغيثون بالمقبورين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إن بعض مدَّعي العلم قد زين لهم مثل هذه الشركيات وحسَّنها لهم وشجَّعهم عليها مما شجَّع العامة على الوقوع فيها انخداعًا بأدعياء العلم هؤلاء، حتى لقد انقسم المنتسبون إلى العلم بإزاء تلك الشركيات **ثلاثة أقسام**:

الأول: مؤيِّد لتلك الشركيات مشجِّع عليها، داعٍ إليها، مؤلِّف في نصرة مذهبه لذلك: ولا سيما إن كانت له منافع مادية من وراء ذلك.

الثاني: عالم بضلال هؤلاء، وبطلان ماهم عليه، لكنه كاتمٍ للحق جبنًا، أو رغبة أو رهبة أو غير ذلك، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

الثالث: عالم بالحق، صادع به، قائم في محاربة هذه البدع الشركية والخرافات العقدية يدعو الناس إلى التوحيد الصافي، وإلى ما كان عليه رسول الله،

ﷺ، وأصحابه وتابعهوم، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرجو إلا وجه الله ـ عز وجل ـ.

وهم قلة رغم اختلاف مذاهبهم في الفروع حتى ظهر من كل المذاهب الأربعة من نصر الدين وحذر من الشرك ودعا الناس إلى التوحيد.

وقد قدمنا طرفًا من كتاب مستقل، يوضح طرفًا من جهود بعض علماء الحنفية في التحذير من الشرك ووسائله، **وها نحن نقدم اليوم** بعضًا من جهود علماء المالكية في هذا المضمار، ثم نتبعه إن شاء الله تعالى ببيان جهود علماء الشافعية حسبما ييسر الله ـ تعالى ـ وما كان في الوسع المزيد.

المالكية هم المنتسبون في الفروع إلى إمام المدينة مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ.

وهو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني الحميري، إمام دار الهجرة، أحد

رؤساء المتقين وكبير المثبتين[1]، وأحد الأئمة الأربعة المتبوعين المشهورين، مولده ونشأته ووفاته بالمدينة النبوية، وكان رحمه الله صلب الدين، متباعدًا عن الولاة والسلاطين، صداعًا بالحق لايخاف في الله لومة لائم، وكان جامعًا بين الفقه العميق والنظر الثاقب والدراية التامة بحديث النبي، ﷺ، مهيبًا عالمًا ثبتًا، «وقد اعتد في مذهبه بعمل أهل المدينة حيث اعتبر أنهم متمسكون بما رأوا عليه آباءهم وأجدادهم الذين صحبوا النبي، ﷺ، وعاينوا أحواله وقلّدوه في أمور دينه، فاعتد كذلك بما هم عليه من أمور الدين»[2] وقد انتشر مذهبه في كثير من أقطار الإسلام بعد المدينة، فانتشر في مصر وشمال إفريقيا والأندلس وغرب إفريقيا، ومازال المذهب الرسمي في عدد من

---

(١) تقريب التهذيب (٢ / ٢٢٣ / ٨٥٩).

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص (٤٤٧) دار إحياء التراث العربي.

أطـار الإسـلام حتى يومنا هذا، وقد توفي رحمه الله بالمدينة سنة ١٧٩هـ بعد أن بذل معظم سني حياته لخدمة الدين، بفروعه المتعددة رحمه الله وأجزل مثوبته(*).

وقد قسمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية.

الثاني: أنواع الشرك عند علماء المالكية.

الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها علماء المالكية لحماية جناب التوحيد.

الرابع: نماذج من الشرك التي حذر منها علماء المالكية.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويتقبَّله مني وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(*) لترجمته انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٤٣ : ١٢١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٥ : ٩). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٩٥: ٩٦).

المبحث الأول

تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية

قال القاضي عياض: في (مشارق الأنوار) مادة (ش ر ك):

ذكر الشركة بفتح الشين وكسر الراء، والشرك في البيع وغيره معلوم، وقوله فيه شرك بكسر الشين من الاشتراك والشرك والشركة والاشتراك واحد، والشرك أيضًا النصيب، والشرك أيضًا الشريك، **قاله الأزهري** في تفسير: ﴿**يستفتونك في النساء**﴾ فأشركته في ماله كذا لهم، يقال: شركته وأشركه وأشركته وأشركه. اهـ[١].

---

(١) مشارق الأنوار (٢/٢٤٨).

وقال ابن عاشور في بيان معنى الشرك اصطلاحًا: «إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الإلـٰهية وفي العبادة»(١).

وقال ابن عطية «الذين كفروا في هذا الموضع هم كل من عبد شيئا سوى الله قال قتادة هم أهل الشرك خاصة»(٢).

قال المبلي المالكي «وكما لاتقتضي الشركة لغة تساوي الشركاء في الحصص، لايقتضي الشرك شرعًا مساواة الشريك لله في جميع صفاته أو في صفة منها بل يسمى المرء مشركًا، عند الشارع بإثباته شريكًا لله ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلًا، فأمَّا حكايته تعالى عن المشركين قولهم: ﴿تالله إن كنَّا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين﴾(٣). فالتسوية قولهم فيه

---

(١) التحرير والتنوير ٧/٣٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٦/٣.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

تسوية في الطاعة والانقياد، لا في القدرة على الخلق والإيجاد، فهي كآية البقرة: ﴿يحبونهم كحبِّ الله﴾.

إنَّ الله جلَّ وعلا، لا يقبل أن يُشرِكَ به الأبرار ولا الفجَّار، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا يرضىٰ شركةعظيم في القدر والمنزلة، كمن أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا شركة عظيم في الخلق والحجم، كالشمس والقمر، وسائر الكواكب، وقد ردَّ القرآن كل شرك، كيفما كان اعتباره من القوة والضعف..

قال تعالى: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا﴾، ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئًا﴾، ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾، ﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله؟﴾. هذا بياننا للشرك الشرعي، فإن كان فيه طول فإنا نقصد فيما نبسط

إفهام العامة وإفحام المعاندين(١).

ولقد عرف الإمام مالك الطاغوت بأنه: «كل ما عبد من دون الله»(٢).

والطاغوت هو كل ما طغا وتجاوز الحد، ونعلم أن الإسلام لا يصح للعبد إلا بأن يكفر بالطاغوت أولاً، كما قال تعالى: ﴿**فمن يكفُر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها**﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾(٤)، فلابد للمسلم أن يكفر أولاً بكل طاغوت معبود من دون الله، أومطاع في معصية الله، أو متحاكمٍ إليه دون حكم الله، أو

(١) رسالة الشرك ص (٦٤ ـ ٦٥).

(٢) فتح المجيد ص٥٦٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

معظم دون الله، هذا الكفر بالطاغوت ينبغي تحقيقه قبـل الإيمان بالله تعالى إذ محال أن يجتمع إيمان بالله وبالطاغوت في قلب إنسان.

بل إن هذه الطواغيت تأتي يوم القيامة فتتبرأ من عبادها الذين عبدوها من دون الله كما قال تعالى: ﴿**إذْ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب**﴾[1].

فالواجب على المسلم الكفر بالطاغوت والبراءة من أهله ومعاداتهم وبغضهم حتى يرجعوا إلى الله تعالى ويتوبوا إليه بالإسلام، كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه وقومه: ﴿**إنا برءآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

فمن خلال كلام الإمام مالك رحمه الله يتضَّح أن الطاغوت عنده يشمل كل ماعبد من دون الله فالهوى طاغـوت، والشيطان طاغـوت، والشجـر المعبـود طاغوت، والحجر طاغوت والحاكم المبدل طاغوت، ومن أمـر النـاس بطاعتـه في معصية الله طاغوت، وهكذا كل ماعبد من دون الله، غير أن مالكاً رحمه الله قيدها في بعض الروايات فقال، (وهو راض) حتى لا يشمـل من عبـدوا دون رضاهم: كالمسيح، وأمه، والعزير، وغيرهم عليهم السلام.

المبحث الثاني

أقسام الشرك عند بعض المالكية

والشرك هو ضد التوحيد كما سلف، فالواجب على المسلم أن يعرف الشرك بأنواعه الأكبر والأصغر، الظاهر والخفي، حتى يتجنبها كلها فيسلم له دينه، ولايتم ذلك إلا بمعرفة هذه الأنواع والحذر منها ومن منافذها ومداخلها، وسد الطرق الموصلة إليها.

قال الإمام الحافظ ابن العربي المالكي:

الشرك على أقسام، ويعود ذلك إلى قسمين: قسم في الاعتقاد، وقسم في العمل، فإن كان الشرك في الاعتقاد[1]، فلا خلاص ولا قصاص، وإن كان

---

(١) كاعتقاد وجود إلـه مكافيء لله تعالى، أو اعتقاد ربوبية غيره، أواعتقاد شبيه له في أسمائه وصفاته وأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف

الشرك فى العمل[١] رجي الخلاص»[٢].

[illegible]

«وأقسام الشرك، قد استوفتها آية سبأ. قال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾. فجعلت الآية أقسام الشرك أربعة، ونفتها كلها، ولنضع لكل قسم اسمًا يمتاز به.

= والتدبير واستحقاق العبادة وغير ذلك والأدلة أكثر من أن تحصىٰ كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [سورة الشورى، الآية: ١١].

(١) ليس كل شرك في العمل يرجى الخلاص من وباله، إذ أن صرف العبادة لغير الله تعالى هو شرك في العمل، لكنه يقوم على أساس شرك في الاعتقاد، وهذا لايرجى منه الخلاص، ولعل الشيخ رحمه الله يقصد أمور الشرك الأصغر غير المكفرة: كالحلف بغير الله، أو يسير الرياء وغير ذلك، وبهذا فلا إشكال في المسألة.

(٢) عارضه الأحوذي (١٠/١٠٦).

الأول: شرك الاحتياز، فنفى سبحانه أن يكون غيره مالكًا لشيء يستقل به، ولو كان في الحقارة مثقال ذرة فى العالم العلوي، أو في العالم السلفي(١).

---

(١) كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير**﴾ [سورة فاطر] وكما قال تعالى: ﴿**واتخذوا من دونه آلهة لايملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعاً ولايملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا**﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣] وكما قال تعالى: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا ولايستطيعون**﴾ [سورة النحل، الآية: ٧٣] وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿**إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقًا**﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ١٧]. قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «**تيسير الكريم المنان**» (٤ / ٢٢١) عند الآية (٧٣) من سورة النحل: (يخبر الله تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لايملكون لهم رزقًا من السموات والأرض، فلا ينزلون مطرًا، ولا رزقاً، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئًا، ولايملكون مثقال ذرة في السموات والأرض، ولايستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ماينفع من يتصل به وهؤلاء لايملكون ولايقدرون، فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله وشبهوها بمالك الأرض والسموات، الذي له الملك كله والحمد كله، والقوة كلها) اهـ.

الثاني: شرك الشياع، فنفى سبحانه أن يكون لغيره نصيب يشاركه فيه كيفما كان هذا النصيب، في المكان والمكانة[(١)].

الثالث: شرك الإعانة، فنفى جل شأنه أن يكون له ظهير ومعين من غير أن يملك معه، كما يعين أحدنا مالك متاع، على حمله مثلاً.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٦٥] فلا يوجد مخلوق يشارك الله تعالى في شيء لا في أفعاله، ولا صفاته، ولا حقوقه ولا غير ذلك. وبما أنه المتفرد بالخلق، فإنه المتفرد بالملك والأمر والتصريف واستحقاق العبادة، كما قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤]

(٢) كما قال تعالى: ﴿وما له منهم من ظهير﴾ [سورة سبأ، الآية: ٢٢]، فليس لله تعالى ظهير ولا معين في تصريف ملكه، فإن الملوك المخلوقين هم الذين يستعينون بغيرهم في إدارة شؤون ملكهم لعدم قدرتهم على الإنفراد بتدبيره غير أن هذا منتفٍ في حق الله تعالى، بل إن وجود هذا الشيء علامة نقص، وصفته، والله تعالى متفرد بصفات الكمال، متنزه عن صفات النقص.

الرابع[(١)] شرك الشفاعة، فنفى تعالى أن يوجد من يتقـدَّم بين يديه يدل بجاهـه ليخلص أحـدًا بشفاعته، فهو تعالى لم يقبل من أقسام الشركة حتى أضعفهـا وأخفـاها، وهي الشركة بالجاه في تحصيل السـلامـة والنجاة، إلا بعد الإذن للشفيع، وتعيين المشفـوع له. وحينئـذ لاتكـون في الشفـاعة رائحة الشركة، بل الشفاعة كغيرها من وجوه النفع، هي:

---

(١) كما قال تعالى: ﴿ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [سـورة الأنبياء، الآية: ٢٨] وقـال: ﴿قـل لله الشفاعة جميعا﴾ [سورة الـزمـر، الآية: ٤٤] وقال: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ [سورة سبأ الآية: ٢٣] فإن الملوك المخلوقين إنما يقبلون شفاعة الشافعين لحاجتهم إليه في تدبير أمر ملكهم وتصريفه، ولايحبون ردها خوفًا من فقد ودِّ الشفعاء ومعونتهم لكن الله تعالى مستغنٍ عن الظهير والمعين، متفرِّد بالخلق والتكوين والتدبير والتصريف، لهذا لاتنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له، أما غير ذلك فلا، فالشفاعة إذاً ملك لله تعالى، وهو الآذن فيها، وهكذا نرى أن الآية اشتملت على نفي الشرك بجميع صوره ودرجاته، فسبحان الله!

لله وحده، ولم يخرج عن الآية شيء من أقسام الشركة، لأن الشريك إما في الملك، وإما في التصرف. **والأول**: إما أن يختار قسطه، وإما أن يكون على الشياع. **والثاني**: إما أن يعين المالك، وإما أن يعين أحدًا عند المالك، فتلك الأقسام الأربعة مرتبة ترتيبها في الآية. وتلك الأقسام على ظهورها من الآية، لم أر من أعرب عنها هذا الإعراب.

بعد هذا البيان نلحظ أن الشيخ رحمه الله لم يعرج على الكلام عن شرك الألوهية، وتوحيد الألوهية هو أصل دين الإسلام، وهو الذي وقعت لأجله الخصومة بين الرسل وأقوامهم، وهو الذي به بعثت جميع الرسل كما قال: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥].

وهذا قصور منه ـ رحمه الله تعالى ـ حيث اهتم ببيان الشرك فيما يتعلق بأمر الربوبية، وأهمل الكلام

عن الشرك في الألوهية والعبادة، وكان الأولىٰ التركيز عليه حيث إن شرك عامة الأمم في باب الألوهية وليس الربوبية.



المبحث الثالث

سد الذرائع الموصلة إلى الشرك
عند علماء المالكية

قبل أن نشرع في بيان الذرائع الموصلة إلى الشرك عند علماء المالكية نبين معنىٰ الذرائع كما هي في كتبهم.

قال الشاطبي: «حقيقة الذرائع التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة»[1].

وقال القرطبي: «الذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع»[2].

---

(١) الموافقات: (١٩٨/٤).

(٢) تفسير القرطبي ٥٨/٢.

وما ورد عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن ماهو من وسائل الشرك: كتجصيص القبور[(١)]، وتعليتها[(٢)]، والكتابة عليها[(٣)]، والبناء عليها[(٤)]،

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء**» ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع المدونة ١/١٨٩ كتاب الكافي لابن عبدالبر ١/٢٨٣، وتنوير المقالة ٣/٤٠ والثمر الداني ٢٣٠ وتفسير القرطبي ١٠/٣٨٠.

(٢) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر: قال: **نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناءً**». ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه من هذه القضايا راجع المدونة ١/١٨٩ وتنوير المقالة ٣/٤٠ والثمر الداني ص٢٣٠ وتفسير القرطبي ١٠/٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٣) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ: «**نهى أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها**» ولمعرفة موقف الإمام مالك رحمه وكثير من أتباعه راجع فتح المجيد ص٣٢٣.

(٤) لما أخرجه مسلم عن جابر قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه بناء**» ولمعرفة موقف مالك وأتباعه راجع المدونة ١/١٨٩ المعيار المعرب ١/٣١٧، ٣١٨ وتنوير المقالة ٣/٣٩، والثمر الداني ٢٣١، وتفسير القرطبي ١٠/٣٧٩ ـ ٣٨٠، فتح المجيد =

واتخاذها مساجد[١]، واستقبالها للدعاء[٢]، والسجود عليها[٣]، والصلاة عليها[٤]، وشدّ الرحال إلى غير

= ص٣٢٣، تيسير العزيز الحمد ص ٣٢٣، ٣٢٤، والكافي لابن عبدالبر ١/ ٢٨٣.

(١) قال النبي ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا**» متفق عليه، وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبورمساجد إني أنهاكم عن ذلك**» أخرجه مسلم وغيره.

ولمعرفة موقف المالكية في التمهيد ١/ ١٦٨، ٥/ ٤٥، والمنتقى ٧/ ١٩٥ تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠، شرح موطأ مالك للزرقاني ٤/ ٢٣٣، ١٢/ ٣٥١، وتيسير العزيز الحميد ص٣٤٠، والمنتقى ١/ ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٢) أخرج مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا عليها**».

ولمعرفة موقف المالكية راجع لكتاب صيانة الإنسان ص٢٦٤، وفتح المنان ص٣٥٨ - ٣٥٩ وتيسير العزيز الحميد ص٣٥٨.

(٣) ولمعرفة موقف المالكية راجع التمهيد ٦/ ٣٨٣، ١/ ١٦٧، ٥/ ٤٥، .

(٤) أخرج مسلم وغيره أن النبي، ﷺ، قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها**»، ولمعرفة موقف المالكية راجع: مقدمة ابن رشد ص١٧٤، والتمهيد ١/ ١٦٧، ٥/ ٢٥، ٦/ ٢٨٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٧٩.

المساجد الثلاثة[1].

قال القرطبي: «التمسك بسد الذرائع وحمايتها هو مذهب مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وقد دلّ على هذا الأصل الكتاب والسنة»[2].

وقال كذلك: «ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره، ﷺ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قِبلَة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لايتمكن أحد من استقبال قبره»[3].

---

(١) لقول النبي ﷺ: «**لاتعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...**».
ولمعرفة موقف المالكية ارجع إلى المعلم ١٢/٨٢ وشرح الزرقاني لمختصر خليل ٣/٩٣ وتيسير العزيز الحميد ٣٦١ وشرح الرزقاني للموطأ ١/٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/٥٧ ـ ٥٨.

(٣) قرة عيون الموحِّدين ص١٣٦.

وقال الإمام مالك: «أكره تجصيص القبور والبناء عليها وهذه الحجارة التي يبنىٰ عليها»(١).

وقال ابن أبي شامة: «كان مالك وغيره من علماء المـدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار في المدينة ما عدا قباء وأحد»(٢).

وقال ابن عبد الباقي في شرح الموطأ: «روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال: «وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرىٰ بذلك وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى»(٣).

وقال القرطبي: «وقـال علماؤنـا وهـذا يحرم على

---

(١) المدونة ١/ ١٨٩.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٩٦ ـ ٩٧، وكتاب ابن وضاح رقم ١١٣.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٣٤٠.

المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»[١].

وقال ابن رشد: «إن فات ـ يعني صلاة الجنازة ـ لم يصل عليه لئلا يكون ذريعة الصلاة على القبور وهو مذهب أشهب وسحنون»[٢].

وقال ابن رشد رحمه الله: «كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة»[٢].

قال القرطبي: في شرح حديث النبي ﷺ: «**لاتصلوا إلى القبور ولاتجلسوا عليها**» أي لاتتخذوها قبلة، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدِّي إلى عبادة من فيها كما كان السبب

---

(١) تفسير القرطبي ١٠ / ٣٨٠

(٢) مقدمة ابن رشد ص١٧٤ .

(٣) فتح المجيد ص٣٢٣، ولعله يقصد مايسمى اليوم بشاهد القبر وهو رخام يكتب عليه اسم الميت وتاريخ وفاته وغير ذلك. والله أعلم.

في عبادة الأصنام، فحذَّر النبي ﷺ عن مثل ذلك، وسدّ الذرائع المؤدِّية إلى ذلك»(١).

إلى أن قال: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كان في الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا، فذلك يهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة وتشبهًا بمن كان يعظِّم القبور ويعبِّدها»(٢).

وقال الإمام مالك: «لا أرى» أن يقف عند قبر النبي، ﷺ، يدعو ولكن يسلم ويمضي» ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط، وإسناده صحيح كما في صيانة الإنسان(٣).

وقال أيضًا في المبسوط: «لابأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي، ﷺ، ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨١).

(٣) ص ٢٦٤ فتح المنان ص٣٥٨.

قيل له: فإن ناسًا من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولايريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيَّام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع، ولايصلح آخر هذه الأمة إلى ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده»(١).

وأما الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال: «ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله، ﷺ، قال له مالك: ياأمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قومًا وقال: ﴿**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾(٢).

---

(١) فتح المنان ص٣٥٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية :٢

ثم قال: «فهـذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرَّفة»(١).

أما الحكاية التي رواها القاضي عياض بإسناده عن مالـك في قصتـه مع المنصـور وأنه قال لمالك: ياأبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعوا، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال: ولِمَ تصرف وجهـك عنـه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامـة بل استقبله، واستشفع به يشفعه الله فيك»(٢).

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: «فهذه الرواية ضعيفة أو موضوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد»(٣).

* وأما ماروى ابن زبالة وهو في أخبار المدينة عن

---

(١) انظر: صيانة الإنسان ص٢٥٥ وفتح المنان ص٣٥٩.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣٥٨.
(٣) تيسير العزيز الحميد ص٣٥٨.

عمر بن هارون عن سلمة بن وردان وهما ساقطان قال: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو»[١] فالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد.

وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: ﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم﴾[٢] فهو والله أعلم باطل، فإن هذه لم يذكرها أحد من الأمة فيما أعلم، ولم يذكر أحد منهم أنه استحبّ أن يسأل بعد الموت لا استغفارًا ولا غيره، وكلامه المنصوص وأمثاله ينافي هذا، قاله صاحب فتح المنان[٣].

وقال القرطبي «وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أم

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) ص ٣٦٠.

حبيبة وأم سلمة ـ رضي الله عنهن ـ ذكرتا كنيسة رأياها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله ، ﷺ ، فقال رسول الله ، ﷺ : «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات بنوا على قبره مسجدًا ، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**» . أخرجه[1] البخاري ومسلم .

قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة ، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله ـ عز وجل ـ عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٢٤٧) ح١٣٤١ في الجنائز باب بناء المسجد على القبر ومسلم (١/ ٣٧٥) ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

الصورة فعبدوها، فحذر النبي، ﷺ، عن مثل ذلك، وشدد النكر والوعيد على من فعل ذلك»[١].

وقال ابن الحاج «لايجوز الطواف حول الأضرحة فإنه لايطاف إلا بالبيت العتيق وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا بالبيت العتيق وكذا لم يشرع التقبيل والإستلام إلا للحجر الأسود»[٢].

وقال الطرطوشي «وروى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي، ﷺ، لأن الناس كانوا يذهبون تحتها فخاف عمر الفتنهم عليهم..

قال وكان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد»[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ٢/٥٨.

(٢) المدخل كما في المشاهدات المعصومية ص٧٣.

(٣) كتاب الحوادث والبدع ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

وقال الطرطوشي «قال عمر بن الخطاب إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ومن لم تدركه فليمض ولا يتعمدها»[1].

---

(١) كتاب الحوادث والبدع ٣٠٨ ـ ٣٠٩.



المبحث الرابع

نماذج من الشرك
التي حذَّر منها علماء المالكية

جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر، ودعاء[1] غير الله

---

(١) لقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٥] وقول النبي ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة» وللمزيد من التعرف على أقوال المالكية انظر: رسالة الشرك مبـر الميلي (ص١٩٢). التحرير والتنوير ٢٤/ ١٨١، ٢٦/ ١١.

والاستغاثة بغير الله (١)، والنذر لغير الله (٢)، والذبح لغير الله (٣)، واعتقاد أن الأولياء لهم تصرف في الكون

---

(١) قال تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم...﴾. [سورة الأنفال، الآية٩] وقال: ﴿وهما يستغيثان الله ويلك آمن...﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ١٧]. التحرير والتنوير ٩/٢٧٤ - ٢٧٥/ ٢٦/ ٣٩.

(٢) قال تعالى: ﴿وليوفوا نذروهم...﴾ [سورة الحج، الآية: ٢٩] فالنذر عبادة لاتنبغي إلا لله تعالى، التحرير والتنوير ١٧/ ٢٤٨، وانظر تيسير العزيز الحميد (ص٢٠٧)، رسالة الشرك للميلي (ص٢٦٨)، ولايجوز النذر لولي أو نبي أو غيرهما، وإلا فإن هذا شرك لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى، لا كما يفعله كثير من الجهال بالنذر لقبر البدوي أو الحسين، أو الجيلاني أو غيرهم، فإن هذا شرك بالله تعالى ولايسوغ أي تأويل لذلك الفعل أو محاولة التلاعب باللفظ والقول بأن «النذر لله والثواب للولي» فهذا كلام باطل لايستجيزه عقل صريح.

(٣) لقوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ [سورة الكوثر، الآية: ٢] وقوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [سورةالأنعام، الآية: ١٦٢]، فالذبح عبادة لاتنبغي إلا لله وعلى اسم الله، ولايجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.
وانظر: مختصر خليل (٣/ ١٣٠) وتفسير القرطبي (٢/ ٢٢٤) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٧٤.

مع الله[١]، أو اعتقـاد أن أحدًا يعلـم الغيب[٢]، أو
الحلف بغـير الله[٣] أو اعتقاد أن للكواكب تأثيرًا في

---

(١) وهذا شرك في الربوبية وقد نفى الله تعالى كل أنواع التصرف لغيره بقوله: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾ [سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣]. وقد سبق الكلام على هذه الآية بالتفصيل في المبحث الثاني. وانظر: شرح الموطأ للزرقاني (١/٣٤٧) وشرح الموطأ للباجي (١/٣٣٤). والتحرير والتنوير ٢٢/١٨٥ ـ ١٩١.

(٢) لقوله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا**﴾ [سورة الجن، الآية: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿**قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥].
وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٧٣٨، ٧٣٩) وتفسير القرطبي ١/٢٩٠) ورسالة الشرك للميلي (ص١٣٧).

(٣) لقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وفي لفظ: «**فقد كفر**» وانظر التمهيد (١٤/٣٦٦: ٣٦٧) وتفسير القرطبي (١٠/٤٠) وشرح الصغير للدرديري (٢/٢٠٣) وتفسير القرطبي (١٠/٤٠) و (٦/٢٧٠: ٢٧١) والمقدمات لابن رشد (٣٠٨: ٣٠٩) وشرح رزق على متن الرسالة

إنزال المطر[١] والتوكل على غير الله[٢].

قال ابن العربي: «مقامات الغيب الخمسة التي لايعلمها إلا الله لا أمارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبىٰ لاطلاع الغيب من أمارات الساعة، والأربع سواها لا أمارة عليها، فكل من قال: إنه ينزل الغيث غدًا فهو كافر، أخبر عنه بأمارات ادَّعاها أو بقول مطلق، ومن قال: إنَّه يعلمُ مافي الرحم، فهو كافر. . .

وأما من ادَّعىٰ علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن الجُملية أوالمفصلة فيما يكون قبل أن يكون، فلا ريبة في كفره أيضًا. فأما من

= (٢/ ١٥) والمعلم (٢/ ٢٤٠). شرح الزرقاني على مختصر خليل ٣/ ٥٣ كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي ١/ ٤٤٨.

(١) المنتقىٰ شرح موطأ مالك ١/ ٣٣٤، وشرح الزرقاني لموطأ مالك.

(٢) لقوله تعالى: ﴿**وعلى ربهم يتوكلون**﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢] انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٩/ ٢٥٩.

أخبر عن كسوف الشمس والقمر **فقد قال علماؤنا**: يؤدَّب ويسجن، ولا يكفر أما عدم تكفيره فلأن جماعة **قالوا**: إنَّه أمر يدرك بالحساب، وتقدير المنازل حسب ماأخبر الله سبحانه في قوله جلَّ وعلا: ﴿**والقمر قدَّرناه منازل**﴾(١) لحسابهم له، وإخبارهم عنه وصدقهم فيه توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم، وأما أدبُهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق العلم بالغيب المستأنف ولا يدرون قدر الفرق بين هذا وغيره، فتتشوش عقائدهم في الدين وتتزلزل قواعدهم في اليقين، فأدبوا حتى يُسِرُّوا ذلك إذا عرفوه ولايعلنوا»(٢).

وقال ابن عبد البر: «لايجوز الحلف بغير الله ـ عز وجل ـ في شيء من الأشياء، ولا على حال من

(١) سورة يس، الآية: ٣٩.

(٢) أحكام القرآن ٢/٧٣٨ ـ ٧٣٩.

الأحوال، وهذا أمر مجمَع عليه وقد روى سعيد بن عبيدة عن ابن عمر فيه حديثًا شديدًا أنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول: «**من حلفَ بغير الله فقد أشركَ**» ذكره أبو داود[١] وغيره.

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاتحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولاتحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**»[٢]. . . .»[٣].

---

(١) أحمد ٢/٣٤ ـ ١٢٥، والترمذي ٤/١١٠، ح١٥٣٥ في النذور والأيمان، وأبوداود ٣/٥٧٠، ح ٣٢٥١ في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء، وابن حبان ٦/٢٧٨ ح٤٣٤٣ والحاكم ٤/٢٩٧، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن جميعهم من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعًا وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/١١٦٧ ح٦٢٠٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٣/٥٦٩ ح٣٢٤٨ في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء من روايةمحمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) التمهيد لابن عبدالبر ١٤/٣٦٦ ـ ٣٦٧.

وقال ابن رشد «والمحظورة أن يحلف باللات، والعزى، والطواغيت، أو بشيء مما يعبد من دون الله تعالى لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والتعظيم لهذه الأشياء كفر بالله تعالى»[١].

وقال القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وما أهل به لغير الله﴾[٢] أي ذكر عليه غير اسم الله تعالى، وهي ذبيحة المجوسي والوثني والمعطل فالوثني يذبح للوثن، والمجوسي للنار، والمعطل لايعتقد شيئا فيذبح لنفسه، ولا خلاف بين العلماء أن ما ذبح المجوسي لناره، والوثني لوثنه لايؤكل... ومنه إهلال الصبي واستهلاله وصياحه عند ولادته، وقال ابن عباس وغيره: المراد ماذبح للأنصاب والأوثان... وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة،

---

(١) مقدمات ابن رشد ص٣٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر عن النية التي هي علة التحريم ألا ترى أن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه راعىٰ النية في الإبل التي نحرها غالب أبو الفرزدق فقال: إنها مما أهلّ لغير الله به فتركها الناس، قال ابن عطية: ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه سئل عن امرأة صنعت للعُبها عرسًا، فنحرت جَزُورًا، فقال الحسن: لايحل أكلها فإنها إنما نحرت لصنم»[١].

جاء في المدونة كما في شر الزرقاني لمختصر خليل: «سوق الهدايا لغير مكة ضلال»[٢].

وقال الحلبي: «دعاء غير الله . . . فهو شرك صريح وكفر قبيح، وله نوعان: أحدهما غير الله مع الله، كالذي يقول: ياربي، وياشيخي، ياربي وجدي،

---

(١) تفسير القرطبي ٢/٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) شرح مختصر خليل للرزقاني ٣/١٣٠.

يالله وناسه، يالله وسيدي عبدالقادر، وسمعت كثيراً يحكون أنهم كثيراً مايسمعون فلانًا يقول: ياربي ياسيدي يوسف اغفر لي، ويوسف هذا من أولاد ابن الدرويش أحدىٰ فصائل أولاد العباد. . . . وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح لأن الداعي عطف غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة، وهي تقضي مشاركة ما بعدها في الحكم، والحكم المشترك فيه هنا هوعبادة الدعاء.

النوع الثاني: دعاء غير الله من دون الله كالذي يقول: يارجال الدالة، يادوان الصالحين، وإطلاق الشرك على هذا النوع باعتبار أن الداعي وإن اقتصر على المخلوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يبرأ منه في العقد فكأن الله فى كلامه مضمر»(١).

(١) رسالة الشرك ص١٩٢.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: «قد نُهي عن النذر، وندب إلى الدعاء، ويظهر به التوجه إلى الله ـ تعالى ـ والتضرُّع له، وهذا بخلاف النذر، فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول، وترك العمل إلى حين الضرورة»(١).

قال ابن عبد البر: «يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد»(٢).

وقال ابن عبد البر: «الوثن: الصنم، وهو الصورة من ذهب كان، أو من فضة. أو غير ذلك من التمثال، وكل مايعبد من دون الله فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله، ﷺ، على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضىٰ من الأمم: كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٢٠٧.

(٢) التمهيد ١/١٦٨.

ﷺ: «**اللهم لاتجعل قبري وثنًا**» يصلىٰ إليه، ويسجد نحوه، ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله، ﷺ، يحذر أصحابه، وسائر أمته الـذين صلَّوا إلى قبـور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجـدًا كما صنعت الـوثنية بالأوثـان التي كانـوا يسجدون إليها، وذلك الشركة الأكبر فكان النبي، ﷺ، يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنـه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم[1]

وقال الميلي: «مساواة هذه الأمة لمن قبلها في حكم السننِ الإلـهية:

إنَّ ماوقع فيه العرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدِّين، وبالغوا في التبرُّك بالصالحين، فإن الله يقول: ﴿**سنة الله التي قد خلت من قبـل ولن تجد لسنة الله تبديلاً**﴾. وعلماء الاجتماع يقولون: «التاريخ يعيد نفسه»، والمتكلمون يحكمـون بأن «ماجرىٰ على المثل يجري على المماثل»

(١) التمهيد ٥/٤٥.

فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدِّين إلى جهالة المشركين، فمحاولة تبرئتهم من الشرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل.

صور من الوثنية الحاضرة:

ألست ترى في أوساطهم قبابًا تبذل في شيدها الأموال، وتشد لزيارتها الرحال، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات؟ أم لم تعلم بدور تنعت بدار الضمان تشتري ضمانتها بالأثمان؟ أم لم تجتمع بذرية نسب للمرابطين إعطاؤها بقوة غيبية. أم لم تتكرر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدِّسون بصفتهم مرابطين أو طرقيين هذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الزردات، أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدَّت الناس عن اتباع السنة المطهرة. والخبير بحياة أهل عصره العالم بأصول دينه لايتردد في ظهور الشرك وانتشاره، وتعدد مظاهره وآثاره»[1].

---

(١) رسالة الشرك للميلي ١٠٨.

وقال: **وإذا قيل للناس أن هؤلاء الضرائح** والمزارات من الأوثان، قالوا إنكم تسبون الصالحين! ياإخواننا افهموا لغة العرب والدين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأولياء، فإن كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صنم، وكل من عبده فهو هالك. وليس كل معبود من دون الله هالكًا. قال تعالى: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون**﴾ فتلك المزارات والضرائح من الأوثان وإن كانت منسوبة إلى ولِي صالح.

وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعياد الجاهلية، فلو فرضنا أحدًا نذر لها شيئًا فهو عاص بالوفاء

به. فإن أضاف إليه التقرُّب من صاحبها فهو مشرك» .

وقد أصبح الناس في جهاليتهم الحاضرة ينذرون لمن يعتقدون فيه من الأحياء والأموات والمزارات، الأموال والثياب والحيوانات والشموع والبخور والأطعمة وسائر المتمولات، ويعتقدون أن نذرهم سبب يقربهم من رضى المنذور له وأن لذلك المنذور له دخلاً في حصول غرضهم، فإن حصل مطلوبهم ازدادوا تعلقًا بمن نذروا له واشتدت خشيتهم منه، وبذلوا أقصى طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التأخير كما استساغته جاهلية العرب في تعويض الغنم بالظباء. **فالعرب مع أصنامهم أقل هيبة من هؤلاء مع أوليائهم**، وإن تساوى الفريقان في حق من ألهوه أكثر من اعتبار حق الإلـه الحق، ذلك أن جاهليتنا على شدة اهتمامها بحق أوليائها منها من لايبالي مع ذلك بالصلاة أو بالزكاة أو بهما معًا، ومن صلَّى وزكَّى لاينكر على تاركهما ماينكره على من تراخى في زيارة شيخ طريقة، أو إقامة زردة أو أداء وعدة، وكذلك ماحكاه

القرآن عن العرب في آياته: ﴿**وجعلوا لله شركاء**﴾[1]...)[2].

وقال: «إن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية، أمر غير ماذكرنا من التوسل المجرد، والتشفع بمن له الشفاعة. **وذلك ماصار يعتقده كثير من العوام** وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لايقدر عليه إلا الله، جلَّ جلاله، ويفعلون ما لايفعله إلا الله ـ عز وجل ـ حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا على

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.

(٢) رسالة الشرك للميلي ص٢٦٨.

خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[١].

وقال: «وقد يعبرون عن هذا الضرب من التبرك بالاستمداد من أرواح الصالحين، ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم، يتصرفون في العالم، ويقضون حاجات قاصديهم، ويستدل مستدلهم بما ورد في حياة الأرواح مما قدَّمنا أصحه وأصرحه. **فيتخذون المزارات** يبنون عليها البناءات ويرون أن روح الصالح فلان هنالك، إما لأنه دفن هنالك أو جلس به، بل تجد بناءات كثيرة على مزارات عديدة كلها منسوبة للشيخ عبدالقادر الجيلاني دفين بغداد ـ رحمه الله ـ، وهو لم يعرف تلك الأمكنة ولا سمع بها. وهذه المزارات الجيلانية تجدها غربي وطن الجزائر أكثر منها في شرقه. أما أن يكون للصالح الواحد قبران فهذا

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص٢٦٨.

نعرفه لغير الصالح . وأشهرهم بوطننا الشيخ محمد بن عبدالرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية بمغربنا . **ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي** تقبيل الجدران والمسح بالحيطان وكل مايضاف إلى ذلك المكان»(١) .

وقال: «نهىٰ الرسول، ﷺ، عن الحلف بالمخلوق **فأبىٰ أكثر الناس إلا الحلف به** . وأغلظ في النهي حتى بلغ به نهي الشرك والكفر فأجروا هذه اليمين على ألسنتهم أكثر من اليمين بالله . وأمر من حلف بالله أن يصدق. فتلاعبوا باليمين الشرعية واحترموا اليمين الشركية»(٢) .

وقال ابن عاشور عن خطورة الشرك : «أكبر الاعتداء إذ هو اعتداء على المستحق المطلق العظيم، لأن من حقه أن يفرد بالعبادة اعتقادًا وعملًا وقولًا ،

---

(١) رسالة الشرك للميلي ص٢٤٤ .

(٢) رسالة الشرك للميلي ص٢٧٧ .

لأن ذلك حقه على مخلوقاته، ففى الحديث: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[(١)]،

إلى أن قال: وذلك أن الشرك جمع بين الاعتراف لله بالإلـهية والاعتراف لغيره بالربوبية أيضًا ولما كان الاعتراف لغيره ظلمًا كان إيمانهم بالله مخلوطًا بظلم»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ١٣/٣٤٧، ح (٧٣٧٣) من حديث معاذ بن جبل.

(٢) التحرير والتنوير ٧/٣٣٢ - ٣٣٣.

الخاتمـة

الحمـد لله الـذي يسر وأعـان على إتمـام هذا الكتاب، **فله وحده المنة والفضل**، وقد توصَّلت إلى نتائج **أجملها فيما يلي**:

أولاً: أن كلام المتقدمين كمالك وأصحابه الأوائل عن الشرك وأنواعه ووسائله قليل، **لأن بدع القبورية لم تكن قد انتشرت بعـد**، وإنـما كانـوا يتكلَّمون في بعض هذه المسـائـل عرضًا إذا وردت في النصوص **بخـلاف ما عليه المتأخرون من المالكية** فقد بسطوا القـول في تلك المسـائـل كما هو ظاهـر من النماذج المتقدمة من نصوصهم.

ثانيـاً: أن للعلماء جهـودًا مشكـورة لحماية جناب **التوحيد**، ومحاربة البدع القبورية، وسد ذرائع الشرك ومنافذه.

ثالثًا: أن البدع القبورية قد أفسدت عقائد كثير من الناس وأوقعتهم في الشرك الأكبر.

رابعًا: أن الشارع احتاط فسد كل وسيلة تؤدِّي إلى الشرك، فحرَّم كل مايحدث عند القبور مما من شأنه أن يفسد عقائد الناس.

خامسًا: أن الشرك إذلال وإهانة للإنسان، لأنه تعبيد الإنسان لمخلوق ضعيف مثله، كما أنه يفتح بابًا واسعًا للأساطير والخرافات.

وفي الختام فهذا جهد المقل، وقوى الإنسان محدودة قاصرة، ورجائي من القاريء الكريم التماس العذر في كل نقص وهفوة، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يوفقنا جميعًا لهدي كتابه والسير على سنة رسوله ﷺ.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهـرس الموضوعـات

نشرة اصدارات

دار الوطن للنشر

(١) رسائل ودراسات في منهج أهل السنة

١ مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة/ د. ناصر بن عبدالكريم العقل .... ٤ ر.س
٢ مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة/ د. ناصر بن عبدالكريم العقل .... ١ ر.س
٣ التبرك المشروع والتبرك الممنوع/ د. علي بن نفيع العلياني .... ٤ ر.س
٤ التمائم في ميزان العقيدة/ د. علي بن نفيع العلياني .... ٣ ر.س
٥ الرقى على ضوء الكتاب والسنة وحكم التفرغ لهاواتخاذها حرفة/ د. علي بن نفيع العلياني .... ٣ ر.س
٦ من تشبه بقوم فهو منهم/ د. ناصر بن عبدالكريم العقل .... ٣ ر.س
٧ منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم/ أحمد الصويان .... ٣ ر.س
٨ الاخلاص والشرك الأصغر/ عبدالعزيز العبداللطيف .... ٢ ر.س
٩ وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق/ (مجلد) جمال بادي .... ١٨ ر.س
١٠ موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية/ محمد عبدالوهاب المصري .... ٢ ر.س
١١ التلازم بين العقيدة والشريعة/ د. ناصر بن عبدالكريم العقل .... ٢ ر.س
١٢ العلم أصوله ومصادره ومناهجه/ محمد الخرعان .... ٤ ر.س
١٣ القول السديد شرح كتاب التوحيد/ الشيخ /عبدالرحمن السعدي .... ٥ ر.س
١٤ الهوى وأثره في الخلاف/ د. عبدالله الغنيمان .... ٢ ر.س
١٥ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين .... ٥ ر.س
١٦ فتح رب البرية بتلخيص الحموية/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين .... ٤ ر.س
١٧ الاكفار والتشهير ضوابط ومحاذير/ عبدالله الجوعي .... ٤ ر.س
١٨ مباحث في عقيدة أهل السنة وموقف الحركات الإسلامية منها/ د. ناصر بن عبدالكريم العقل .... ٦ ر.س
١٩ الإفتراق/ د. ناصر بن عبدالكريم العقل .... ٣ ر.س
٢٠ الإستهزاء بالدين وأهله/ د. محمد بن سعيد القحطاني .... ٤ ر.س
٢١ مقالات في المذاهب والفرق/ عبدالعزيز العبداللطيف .... ٣ ر.س
٢٢ أبحاث في الاعتقاد/ عبدالعزيز العبداللطيف .... ٣ ر.س
٢٣ مذكرة التوحيد/ الشيخ عبدالرزاق عفيفي .... ٥ ر.س
٢٤ حكم الله وما ينافيه/ عبدالعزيز العبداللطيف .... ٤ ر.س

(٢) نحو ترشيد الصحوة

١ من أخلاق الداعية/ الشيخ سلمان بن فهد العودة .... ٣ ر.س
٢ لحوم العلماء مسمومة/ د. ناصر بن سليمان العمر .... ٣ ر.س
٣ حتى لا تغرق السفينة/ الشيخ سلمان بن فهد العودة .... ٣ ر.س
٤ العلم ضرورة شرعية/ د. ناصر بن سليمان العمر .... ٣ ر.س

٥ فقه الواقع مقوماته واثاره ومصادره/ د. ناصر بن سليمان العمر .... ٣ ر.س

٦ الحكمة/ د. ناصر بن سليمان العمر .... ٥ ر.س

٧ مسائل في الدعوة والتربية/ محمد صالح المنجد .... ٢ ر.س

٨ فن الدعوة/ عائض بن عبدالله القرني .... ٣ ر.س

٩ هكذا علم الأنبياء/ الشيخ سلمان بن فهد العودة .... ٤ ر.س

١٠ الكتاب الأول/ من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز في الدعوة
زياد بن محمد السعدون .... ٤ ر.س

(٣) رسائل إلى مربية الأجيال

١ خمسون زهرة من حقل النصح/ عبدالعزيز المقبل .... ١ ر.س

٢ رسالة في الدماء الطبيعية للنساء / الشيخ محمد بن صالح العثيمين .... ٢ ر.س

٣ الصوفية: عقيدة وأهداف / ليلى بنت عبدالله .... ٢ ر.س

٤ صيحة تحذير وصرخة نذير/ محمد أحمد إسماعيل .... ١ ر.س

٥ الرسائل والفتاوى النسائية / سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز .... ٣ ر.س

٦ فتياتنا بين التغريب والعفاف/ د. ناصر بن سليمان العمر .... ٣ ر.س

٧ قضية تحرير المرأة / محمد قطب .... ٣ ر.س

٨ معركة السفور والحجاب/ محمد أحمد إسماعيل .... ٤ ر.س

٩ المرأة وكيد الأعداء/ د. عبدالله بن وكيّل الشيخ .... ٢ ر.س

١٠ تأملات في عمل المرأة/ د. عبدالله بن وكيّل الشيخ .... ٣ ر.س

١١ رسالة إلى أمي وأختي/ فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب .... ٢ ر.س

١٢ النساء والموضة والأزياء/ خالد بن عبدالرحمن الشايع .... ٣ ر.س

١٣ حث النساء على بذل المال والطعاموالكساء والصدقة/ مريم السالم .... ٢ ر.س

١٤ فتاوى المرأة الجزء الأول/ الشيخ محمد العثيمين والشيخ عبدالله الجبرين
جمع وترتيب محمد المسند .... ٥ ر.س

١٥ فتاوى المرأة الجزء الثاني/ اللجنة الدائمة وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز
جمع وترتيب محمد المسند .... ٥ ر.س

توزيع مؤسسة الجريسي
الرياض : ت ٤٠٢٢٥٦٤ • جدة : ت ٦٨٦١١٠٥
الدمام : ت ٨٢٧١٨١١
القصيم : ت ٣٦٤٤٣٦٦ • أبها : ت ٢٢٢٠٤٨٥

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض